سانحة

المعري وشبنهاور

من عهد بعيد يحث كتاب الشرق والغرب عن حياة الشاعر الحكيم أبي العلاء المعري وتآليفه وعرفوه بما يستحقه من الإجلال والتعظيم فلا حاجة لإيراد ترجمته هنا.

إلا أنا لم نر أحداً أشار إلى المشابهة الغريبة الموجودة بين فلسفة المعري ومذهب شبنهاور الحكيم الجرماني.

ولد أرثور شبنهاور بمدينة دنتسيغ بألمانيا سنة ١٧٨٨ فاعتنت أمه بتثقيفه وكانت من مشاهير قصصي ذلك القرن فأحسنت تربيته.

وبعد أن تلقى العلوم بجامعة برلين وحصل على شهاداتها أخذ يدون آراءه الفلسفية فألف عدة كتب أهمها (الإرادة في الطبيعة) و (أساس الحكمة) وأشهرها (حقائق تتعلق بالحكمة في الحياة) وفيه جمع شبنهاور حكمه في أقوال موجزة وفصول قصار وصف فيها أتعاب الحياة وآلام البشر بكيفية تؤلم القارئ لانطباقها في الغالب على الواقع. ومذهب شبنهاور مركوز على قاعدة أن جميع مشاق الإنسان وأتعابه الدنياوية الأصل فيها يسميه إرادة البشر يعني شهوات طبيعتنا وحبنا التمتع والتلذذ بالحياة.

أوليس هذا رأي المعري عندما يقول: إنك إلى الدنيا مصنع. وحبها لبشر مطمع. لو أنك لشأنها منع. أبغاك ما تأمله مبغ؟ ولولا خوف الإطالة لأوردنا شيئاً كثيراً من تشابه أقوال الحكيمين.

وتوفي أرثور شبنهاور بفرنكفورت عام ١٨٦٠.

ومن اطلع على طريقة هذا الفيلسوف الألماني تيقن أن معتقده ويأسه من الحياة وتشاؤمه المستمر يطابق كثيراً مذهب المعري خصوصاً في فحصه أتعاب البشر وآلامهم وجسه

أخبرني بملقى السبيل هذه الشيخ أبو المظفر سعد بن أحمد بن حماد المعري رحمه الله عن أبيه أبي العلاء ناظمها وكتب عبد الله بن عبد الرحمن العثماني.

قال الشيخ الإمام أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري رهين المحبسين

الهمزة

كم يجني الرجل ويخطئ، ويعلم أن حتفه لا يبطئ.

نظمه (مخلع البسيط)

إن الأنام ليخطئوا ... ن ويغفر الله الخطيئة

كم يبطئون عن الجمي ... ل وما مناياهم بطيئة

الألف

ابن آدم في سير وسُرى. يهجر بحصره الكرى. وطال ما كذب وافترى. ليصل إلى خسيس القرى. وإنما يحصل عَلَى الثرى. كأنه لا يسمع ولا يرى.

نظمه (سريع)

أما يفيق المرء من سكره ... مجتهداً في سيره والسرى

نمت عن الأخرى فنم تنتبه ... وفي سوى الدين هجرت الكرى

كم قائل راح إلى معشر ... أبطل فيما قاله وافترى

عَلَى القرا يحمل أثقاله ... وإنما يأمل نزرِ القرى

يفتقر الحي ويثري وما ... يصير الأُجثوةِ في الثرى

اسمع فهذا قائل صادق ... أراك عقباك فهلا ترى

الباء

يفتقر إلى الله الأرباب. وبالكافر يحل التباب. وتقطع بالموت الأسباب. وفي الخالق تحار الألباب.

نظمه (رجز)

دانت لرب الفلك الأرباب ... وبالكفور ينحق التباب

كم قطعت لميتة أسباب ... واقترفت برغمها الأسباب

التاء

النفس تصرفت وانصرفت. والأمضاء تألفت ثم تلفت. والأقضية بحق هتفت. ما أُعفيت المحلة لكن عفت. كم شفيت المدنفة فما اشتفت.

نظمه (مجزو الرجز)

نفس الفتي في دهره ... تصرفت وانصرفت

تألفت عضاؤه ... واقترفت إذ تلفت

أقضية الله دعت ... فأسمعت إذ هتفت

ما أُعفيت ديارهم ... من الرزايا بل عفت

كم شفيت مريضة ... من مرض فما اشتفت

الثاء

من أعظم الحدث. سكنى الجدث.

نظمه (متقارب)

يدوم القديم إلاه السماء ... ويفنى بأقداره ما حدث

وما أرغب المرء في عيشه ... ولكن قصاراه سكنى الجدث

الجيم

العجب بجاهل مداج. يأسف لبين الأحداج. ويعصي الملك والنيل داج. وما هو من الحنف بناج.

نظمه (مخلع البسيط)

يا أيها العاقل المداجي ... لينه بالسفاه داجي

كأنه عينه إذا ما ... تحمل الحي في زجاج

كم أعمل الناجيات حرصاً ... وليس من حتفه بناج

رجا أموراً فلم تقدر ... وكل من في الحي الحياة راجي

الحاء

إن ابن آدم لشحيح. سوف يمرض من القوم صحيح. تعصف بعقله ريح. فإذا هو لقي طريح. ثم يحفر له ضريح. أن ذلك هو التبريح.

نظمه (مخلع البسيط)

يا أيها المتمسك الشحيح ... سيمرض السالم الصحيح

مالك لم تنفع بعقل ... هل عصفت بالعقول ريح

إن شيد القصر في سرور ... فبعده يحفر الضريح

يطرح الهم بالمنايا ... من جسمه في الثرى طريح

الخاء

بكى عَلَى الميت مواخ. كان أجاء في تراخ. فلتته الصارخة عن الصراخ.

نظمه (مخلع البسيط)

في الله آخى فتىً لبيب ... وأسلم الهالك المواخي

بكى عليه فهل تراه ... في أجل دائم التراخي

اعتقد الحق واعتمده ... لا تزرع الحب في السباخ

الدال

أما بصرك فحديد. وأما ثوبك فجديد. وظنك بقضاء الله مديد. وحولك العدد والعديد. ولكنك سواك السديد. طرقك وعد ووعيد. فهل تبديء وهل تعيد. أم غرينك هو السعيد.

نظمه (وافر)

أرى منكاً تحف به موال ... له نظر إلى الدنيا حديد
ضفا برد الشباب عليه حتى ... مضت حقب ومنبسه جديد
يزول القيظ في صيف ومشتى ... ويستر شخصه ظل مديد
وفت عُدد لديه فمن دروع ... وأسياف ينوء بها عديد
وكان السعد صاحبه زماناً ... ولكن طال ما شقي السعيد
بدا شخص المنون لناظريه ... وقيل له أتبدي أن تعيد
تصعد في المراتب غير وان ... وأحرزه على الرغم الصعيد
تفرقت الجيود فما عنته ... وأبطنت المواعيد والوعيد

الذال

أما العيش فيلذ. ولكن سببه يجذ.

نظمه (متقارب)

يلذ الفتى غفلات الحياة ... وليس بمتصل ما يلذ
يمد له الظن آماله ... ولكنها عن قليل تجذ

. . .

العاجلة سبيل منفوذة. وهي عند أهل الرشد منبوذة. والأنفس بحق مأخوذة. لا الدرع تنفع ولا الخوذة.

نظمه (سريع)

أنفذ من الدنيا ولا تلتفت ... فأنها بالعنف منفوذة
حازتك فانبذها إلى أهلها ... فهي لدى الخيار منبوذة
ولا تمسك بحبال لها ... تصبح من كفيك محذوذة
مأخوذة مانعة في الورى ... نفس بحكم الله مأخوذة
لا سقية أغنت ولا رقية ... ولا تميمات ولا عوذه

الراء

لقد هجرت الخدور. وغدر بها الزمان الغدور. فإذا الخدر عوضه قبر. هل ينفعك جزع أو صبر. من بارئك يجري المقدور. وتفنى الشهب والبدور.

نظمه (مخلع البسيط)

تظهر أسرارها الخدور ... بما قضى الواحد القدير
كم دار في خاطر ضمير ... من فلك دائب يدور
وضاق صدر بمشكلات ... تضيق عن مثلها الصدور
يثبت فرد بلا قرين ... وهلك الشهب والبدور

الزاي

لا تبرزي يا غانية. فإنها الدنيا فانية. ستترك بكنة والداك. فتمسك بالسنك بداك. الورع ذهب إبريز. والجدث حرز حريز. قد هلك فتاة رود. وتنبك مسنة ترود.

نظمه (مخلع البسيط)

يموت قوم وراء قوم ... ويثبت الأول العزيز
كم هتكت غادة كعاب ... وعفرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً ... والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطئ المنايا ... والخلد في الدهر لا يجوز

السين

يا ابن آدم كم تحرس وتحترس. والموت أسد يفترس. إن كنت بجبل أو واد. فإن الأودية مثل الأطواد. يسمعها من الله داع. جل رب العظمة والابتداع.

نظمه (متقارب)

أيحترس المرء من حتفه ... وما حاد عن يومه المحترس
هل الناس إلا نظير السوا ... م وآجالهم أسد يفترس
يحل الربا ويحل الوهود ... ولا بد للربع أن يندرس

الشين

لا تك ذا يش. وأعجب لما وهب من العيش. ما فعل آدم وبنوه. كم أدرك الشر مجتنوه. يبدي التوفر أخو المعيشة. والجبل مثل الريشة. المترل لأمر معروش. وبالقدر تثل العروش.

نظمه (مخلع بسيط)

أين مضى آدم وشيث ... وأين من بعده أنوش
مر أبي تابعاً أباه ... ومد وقت فكم أعيش
لا منك إلا لرب عرش ... تُثل عن أمره العروش
خف من الخوف كل طود ... حتى كأن الجبال ريش

تطيش نبل الرماة منا ... وأسهم الحتف لا تطيش

ولم يزل للمنون جيش ... تفل من ذكره الجيوش

يحث بالنعش حامنوه ... وشد ما سارت النعوش

لا حبذا الأنس والخطايا ... وحبذا النسك والوحوش

الصاد

المرء عما وجب ناكص. والشخص للحدث شاخص. إن ظل الفانية لقالص. فهل خلص إلى الله خالص. إن دينك لوديعة في الخار. إنما يدرك بغوص البحار. وعُدِم دين في الأنام. وكان كالحلم في المنام.

نظمه (سريع)

من ادعى النسك عَلَى غرة ... فقل له ما صدق الخارص

والنسك مثل النجم في بعده ... والخلق إن يبلغه ناكص

كالدرة العذراء ما نالها ... إلا امرؤٌ في بحرها غائص

في لجة قامصة سفنها ... ويصرع المستمسك القامص

تلعب بالألواح أمواجها ... كأنما مركبها راقص

كبت عامه مجدب ... وماؤه مستكر ناقص

الضاد

دينك عناه المرض. ضاعت النافلة والمفترض. وخدعك هذا العرض. وجسمك ضعيف حرض. لقد بعد منك الغرض. وسوف يطنب المقترض.

نظمه (منسرح)

دينك مضنىً أصابه سقم ... والخسر في أن يميته المرض

وهل ترجى لديك نافلة ... من بعدها ضاع منك مفترض
غرضت من هذه الحياة فهل ... غرك فيما ترومه غرض
قميل من جوهر إلى عرض ... والروح في جوهرها عارض
حرضك الشيب أن تتوب فما ... تبت فهلا تذكر الحرض
أقرضت عمراً فما صنعت به ... سوف يرد الأنام ما اقترضوا

الطاء

فودك علاه الشمط. والمرء ينقص ويفمط. كالطفل كهلك فهلا يفمط. لقد عرف هذا النمط. والنفس تطمع ولا تضبط. وأجر من كفر يحبط. أيبن موقف لا يغلط. والموت في العالم مسلط. وعائد الملك لا يقنط.

نظمه (هزج)

إلا أحرص والرغبة في أشيب كالأشمط
وكالطفل إذا الكهل ... فما لكهل يفمط
ولا يغضب أخو الريبة ... أن ينقص أو يغبط
فما الخاسر إلا كا ...فر أعماله تحبطك
بني آدم إن تعصوا ... فما اخسر من يقنط
غبطتم صاحب الثرو ... ة والزاهد لا يغبط
أما تعنط في الدهر ... بأن توجد لا تفنط

الظاء

أنا دينك فمتشظ. وأنت عَلَى الفانية مقلظ. متقرب بالمين متحظ

نظمه (مجتث البسيط)

لو بغيت الذي أراد بك الله لأعطاك فوق ما أنت تبغي

الفاء

طال والكنف فأين الخلف والسلف. إن العافية هي التلف. وعند البارئ تكون الزلف. إلا تكذب وتحلف. ولإثم لو ظهر أكلف.

نظمه (متقارب)

كلفت بدنياك شر الكلف ... فجاءتك مما صنعت الكنف
تبعت الغواة وما أسلفوا ... فهلا أخذت بقول السلف
وصدقت نفسك في ظنها ... وكم قال مان لما حلف
تخلف مالك للوارثين ... وكانوا بعلمك بئس الخلف
ترجي الحياة وأسبابها ... وتطلب عند المنيك الزلف
ولو ظهر الإثم للناظرين ... لراعك في الوجه منه كلف
نصحتك فأذن إلى من يقول ... تلاف أمورك قبل التلف

القاف

قلبك معنى يخفق. يخاف من عاجلتك ويشفق. وبارئك هو المرفق. أصبحت من عمرك تنفق. ترفع العذر وتلفق. وأنت في مطلبك محفق. يطول تعبك فلا ترفق.

نظمه (سريع)

إن خفق البارق في عارض ... فالقلب من روعته يخفق
تأسف إن أنفقت مالاً ولا ... تأسف من عمرك إذ تنفق
تظل من فقد الغنا مشفقاً ... ومن قبيح الإثم لا تشفق
مرتفقاً في وطن حافظاً ... تسأل ما هان فلا ترفق

يعود عن غيمك من شامه ... وهو شديد ظمؤُه مخفق

الكاف

سبح إلهنا الفنك. وقدس البشر والمنك. والجسم في العفر يستهلك. والمرءُ بالعارفة يمنك. والنهج للآخرة يسلك.

نظمه (مجزو الرجز)

سبح مع الشهب كما ... سبح من قبل الفنك

قدس إنسان عَلَى ال ... أرض وفي الجو منك

لا تبك لنبيت فكم ... مات كريم وهنك

ما خير الغابر عن ... دفينه أين سنك

مالك شيءٌ وإذا أطعت فالرحمة لك

اللام

غرك تفصيل وجمل. والحي خدعه الأمل. سعيك فسد والعمل. ما نفعك هج ولا رمل. كأنك بين الجهل هُمل.

نظمه (سريع)

مازلت مشغولاً بلا خشية ... يغرك التفصيل بعد الجمل

تحملك الأرض عَلَى ظهرها ... وأنت سار فوق ظهر الأمل

مالي أرى عينيك لم تهملا ... كأنما أنت مخلى هُمل

ما يشفع لحسن لأصحابه ... إن حسن الوجه وساء العمل

رمنت في مكة تبغي الهدى ... فهل فمالك السعي بعد الرمل

الميم

المرء لهي فما انتهى. مازال في العاجلة يزدهى. إن قبل ما أحسن وما أبهى. فأيقن صاحبك لما وهى. وطال ما نعم ولها. ونال في العمر ما اشتهى. ما بين غزلان ومها. دهاه الزمن فيمن دها. والله عمر بالنهى. مصور القمر والسها.

نظمه (السريع)

المرء معتوب عَلَى فعله ... كم سمع النهي فألا انتهى

زايله النهو وزار البلا ... وطال ما عاينته مزدهى

باهى زماناً بالذي ناله ... ثم أتى الموت فأين البهى

وهت عقود كانفي عصره ... أحكمها لا عاقد ما وهى

ما شهوات الحي إلا أذى ... إن نال من مدته ما اشتهى

كأن يرى في غزل دائماً ... ما بين غزلان له أو مهى

دهاه بالمقدور لم يدفع الخطب عن مهجته إذ دهى

سها عن الواجب فاغتاله ... مصور البدر ورب السها

الواو

أما صحبك فقد غووا. عبوا في المورد فما ارتووا. أبادهم الأقضية حتى تووا. خلوا لنوارث ما احتووا. طواهم القدر فانطووا. ولاقتهم الآخرة بما نووا.

نظمه (سريع)

لا تغو في دنياك مستهتراً ... فإن أصحابك فيها غووا

عزلهم في سربهم مورد ... لو كان يروي مثله لارتووا

نادهم الأقدار يا ساكني الأرض ألا تنوون حتى تووا

خلو أحاديثهم واحتوى ... أخذ ميراث عَلَى ما حووا

انتشروا في عيشهم أعصراً ... ثم طواهم قدر فانطووا

فلتحسن النية من بعدهم ... فالناس يجزون على ما نووا

اللام والألف

كل غدا يخدم أملاً. يسيء في ما بطن عملاً. يصبح بسيفه مشتملاً. لا يطلب رزقه محتفلاً. والرزق ولا يترك متوكلاً. لم يرد في العالم حيلاً.

نظمه (بسيط)

ما في البسيطة من عبد ولا ملك ... إلا حنيف عناء يخدم الأملا

يحث نفساً عن الإحسان عاجزة ... وقد أساء بعلم الواحد عملاً

فهل ترى الدهر أنثى أو ترى ذكراً ... يشابه امرأة في الخلق أو رجلاً

يروم بالسيف رزقاً جاء في عنف ... ما كان يخطوه في خفض لو اتكلا

يبغي المعالي في أوفى مجاهدة ... فإن تخلف عنها لطف الحيلا

يا ساكني التراب ما عندي لكم خبر ... فليت شعري عن المقبور ما فعلا

لم تأتنا منكم رسل مخبرة ... ولا كتاب إلينا منكم وصلا

الياء

الحي بعد العيشة رديء. وجاءه القدر فينا فدي. وشخصه بالقاضية ردي. لم يرزق النهل إن صدي. لكنه عن ذلك عدي. أظلته العاجلة فما هدي. وجادته الامنية فما ندي. وقتلته الحادثات فما ودي.

نظمه (سريع)

المرء في أردية لونت ... ماش ولكن بعد هذا ردي

فدى الأسارى زمناً ذاهباً ... وجاءه الموت فألا فدي

والهند وكانت خليقة بعد هذا كله أن تروي لنا التاريخ العام لمثل رواية وتحدثنا عنه اصدق حديث لولا جهل السالفين وضعف الخالفين من أبنائها فما أقدر هذه اللغة عَلَى الحياة وما أصبرها عَلَى الخطوب.

صعوبة البحث التاريخي عن نشأة اللغة العربية

ذلكم أيها السادة أول عهد اللغة بالحياة ولكن في أي قرن ابتدأ هذا العهد. .؟ وكيف كان ابتداؤه. .؟ وما هي الأصول الحقيقية للغة السامية التي اقتطعت منها هذه اللغة وكيف كان اقتطاعها.؟ هذا ما لم يعرفه التاريخ إلى الآن وقبل أن أُشير كما وعدت عَلَى أسباب ذلك يجب عَلَيَّ أن أبطل مذهباً يلهج به بعض الكتاب الذين كثير عليهم العلم حتى ضاقت به صدورهم فأخذوا يقذفونه في الصحف من غير حساب ويبيعونه عَلَى الناس من غير ثمن وينتحلون به لأنفسهم ألقاب العلماء والمؤلفين. .؟!

زعموا أن اللغة العربية نشأت كما تنشأ لغة الطفل فكانت في أول أمرها أصواتاً أحادية المقطع لا يزيد اللفظ منها عَلَى حرف متحرك كباء الجر ولامه وكاف التشبيه وأحرف القسم وهمزة الاستفهام.

ثم تركت هذه الألفاظ بتركب معانيها ومرونة الألسنة عَلَى النطق والحركة فبلغت مقطعين وثلاثة إلى أن استقرت في نصابها المعروف فلم تنقص في الاسم والفعل عن ثلاثة أحرف أصول لم تزد في الأول عن خمسة وفي الثاني عن أربعة إلا بحروف غير لازمة وهي الزوائد عَلَى أن هذه الحروف لم تستطع أن تبلغ بالفعل أكثر من ستة وبالاسم أكثر من

سبعة غير الحركات التي لا تحسب عند العرب حروفاً كما تحسب عند غيرهم من الفرنج. .

بسم الله وبه ثقتي

نحمدهُ تعالى عَلَى أن يسر لنا الوفاء بما وعدنا به يوم إنشاء هذه المجلة من إرادة التحسين في موضوعاتها وتكثير موادها وتكبير حجمها وتجميل مظهرها بحسب سنة النمو الطبيعي. وها نحن أولاء نبدأ الآن بنشر السنة السابعة بزيادة عدد صفحات مجلد السنة بحيث يقع المجلد في ٩٦٠ صفحة وكان كل مجلد في السنين الأربع الأخيرة يصدر في ٨٠٠ وفي السنتين الأوليين في ٦٧٢ وتوسيع الحجم يقتضي ولا جرم التوسع في الأبحاث وإشباعها نظراً وتدقيقاً.

لم نتفرغ كل التفرغ في السنين الماضية إلى الانقطاع لما نحب المبالغة في البحث فيه لتجويد تأليف هذه الصحيفة لأن العمل في الصحف السياسية أضاع علينا جانباً من أوقاتنا بحكم الضرورة بيد أننا لم نغفل يوماً ونحن وسط ذاك العراك الشديد عن اقتباس كل ما نعتقد فيه الغناء لفائدة القراء الأعزاء.

أضف إلى هذا أن السنين الثلاث الماضية من سني الدستور العثماني كانت ومازالت أيام اضطراب وفتن وبلاء ومحن وفي مثل هذه الحال يصعب عَلَى من يعمل بعقله أن يصرف قواه كلها إلى تعزيز كنسة العلوم والآداب وهي لا تنمو إلا في ظل الأمن والراحة والقائمون بخدمتها أحوج الناس إلى السكون والانقطاع للتدبر والتفكر ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

فرجاؤنا أن يكون جو الأعوام المقبلة أكثر صفاءً لتحسن الاضطلاع بأعباء هذه الخدمة الشريفة ونبني البناء الحسن في نشر النافع في النهضة الفكرية في الديار العربية إذ كل سعي ضائع بدون لأن يسبقه هوض عنصي واقتصادي وأدبي والله ولي التوفيق.

منقى السيل